«هيبيون» جدد... بضاعة ما بعد أزمة رسوم الكاريكاتور:

كل هذه الإعترافات اللذيذة بتأثير الشرق على الغرب!

منير عبد المجيد*

■ «ماذا جرى للبلبل؟» هو عنوان معرض فني يضمّ عشرين بوستراً للفنانَين يان ايسبيرغ وكلاوس رولاند، يقام في أحد أرقى وأعرق الغاليريات الكوبنهاغنية «أسبيك».

والمعرض بدوره واحد من مئات الفعاليات المختلفة التي ولدت إثر نشر صحيفة «يولاندس بوستن» لرسومات الكاريكاتور سيئة الصيت.

ندوات، جلسات، مباحثات طاولات مستديرة ومربعة، وبحضور ضيوف من الشرق والغرب اتفقوا مسبقاً ولاحقاً على أهمية الحوار وبناء الجسور، مع خطين بالأحمر تحت كلمتي: ديمقراطية و حرية.

واستفاق الهيبيون من غفوتهم التي تجاوزت ربع قرن، وانضم إليهم تلامذة اليسار الرخو والمعتدل والمتشدّد من الصبيان والصبيات، بمانيفستات عريضة تعلن عن مقتهم وغضبهم من هجمة اليمين المتطرف على المهاجرين والمغتربين، بـ«اسلاموفوربيته» المتخلفة وشوفينيته القومية العنصرية. هذه هي الصورة العامة في دانمارك، سيداتي وسادتي، يتحدث أهلها عن علامة فارقة في تاريخهم وعصر قبل ـ بعد نشر الرسوم، أسوة بقبل ـ بعد هجمات نيويورك.

حوار بين الدانمارك والعالم العربي

هذا ما يريده الفنانان ايسبيرغ ورولاند. «لقد ألهم العالم العربي الفنانين الدانماركيين منذ مئات السنين. نحن تجولنا مراراً في البلاد العربية، وكنّا موضع ترحيب أينما حللنا. ومن خلال هذا المعرض سنحاول بناء الحوار مع العالم العربي مرّة اخرى»، يقول يان ايسبيرغ.

البوسترات تعتمد صوراً فوتوغرافية التقطها كلاوس رولاند إثر زيارات قام بها إلى الشرق الأوسط منذ العام 1975. وبحيل كومبيوترية جعلها متغضّنة، لترمز إلى العلاقة الحالية بين الدانمارك والعالم العربي. ولتأكيد ذلك، قام ايسبيرغ بتذييلها بنصوص عربية عن فنانين دانماركيين يعانيان من عبء فواتير لم تُدفع في طقس غائم مكتئب في الشمال الاوربي، بينما يتذكران البلابل والشاي بالنعناع والأركيلة. وجعل شعار نصوصه، الذي يتكرر عشرين مرة: «أبوسعنا معاودة زيارة عالمكم؟» و«لا نستطيع إبداع الفن في الدانمارك». وبين الجملتين الأخيرتين عبارات مثل: «نشتاق إلى الصحارى الصفراء الخالية من كل شئ»، و «هناك صحون لم تُغسل منذ البارحة»، أو «لا زخرفة عربية لينة الأطراف، هنا فقط خطوط مستقيمة».

وهذه ليست المرة الأولى التي يرتفع صوت هذين الفنانين إحتجاجاً. منذ أشهر أقاما معرضاً انتقدا فيه الرسومات تلك، وقبلها أقاما معرضاً في شوارع بغداد ضم ألف بوستر يُعارض الحرب والإحتلال الأمريكي ومشاركة القوات الدانماركية في التحالف. والمعرض الحالي سيفتتح في دمشق خلال شهرين، وينتقل بعدها إلى عدد من العواصم العربية.

الشركات الدانماركية تُكثّف دعمها للثقافة

آرلا فودز قامت بدعم هذا المعرض مادياً، لأنها تعتبر الأمر رسالة. يقول أسامة زهدي (من أصل فلسطيني) أحد مدراء المبيعات لدى الشركة: «لقد تواجدنا في السوق العربية منذ أربعين سنة، وعملنا قائم على إقامة العلاقات مع الناس في المنطقة. ليس بسبب اهتماماتنا الإقتصادية فحسب، بل بسبب إيماننا بضرورة إيجاد الجو الملائم للتواصل والتفاهم، كوننا جزء من عالم كبير يصغر قليلاً كل يوم».

والمعروف أن آرلا فودز (المصدرة الرئيسية لمنتجات الألبان إلى الشرق الأوسط، وثاني أكبر شركة في العالم في هذا المجال) تضررّت نتيجة المقاطعة التي تعرضت إليها منتجاتها في البلاد العربية. وقامت في الآونة الأخيرة بحملة دعائية كبيرة في وسائل الإعلام العربية تستنكر نشر الرسومات المسيئة، وتثمن العلاقات الطيبة التي طبعت الإتصال الدانماركي ـ العربي. هذه الحملة انتقدها هنا الساسة اليمينيون وشجبها المتطرفون، واعتبرتها الصحافة الدانماركية محاباة لا مبرر لها سوى النفع التجاري.

وآرلا ليست الشركة الوحيدة التي عملت على دعم هذا المعرض، فمكتب الشركة العالمية «هيل نولتون» (شركة علاقات عامة) في كوبنهاغن، ومن خلال مديريها الأخوين ينس وسورن كوفود، قدمّت مساندة مماثلة. وفي مانيفست حار اللهجة ركز الأخَوان كوفود على التأثير الهائل الذي خلفّه الشرق على الغرب منذ أكثر من ألف سنة في مجالات العلوم والطب والفلك والرياضيات والفن. وإعلان هيل نولتون يعدد الكثير من مناقب التأثير الحضاري للعالم العربي على اوربا ويوكد على أن:

«الشرق هو منبع الثقافة التي، وبطرق شتى، وضعت الحجر الأساس للحضارات واللغات الاوربية.

إن جزءاً معتبراً من ميراث الأدب اليوناني والروماني وصل إلينا عن طريق الترجمات العربية. وهذه الترجمات، وفي الكثير من الحالات، هي الأثر الوحيد المتبقي. ولم يكتف العرب بالترجمات فقط، بل قاموا بتطوير أصول علوم الطب اليوناني. هذا التطوير والمعرفة ساهما على نحو فعال بتأسيس دعائم الطب في القرون الوسطى الاوربية».

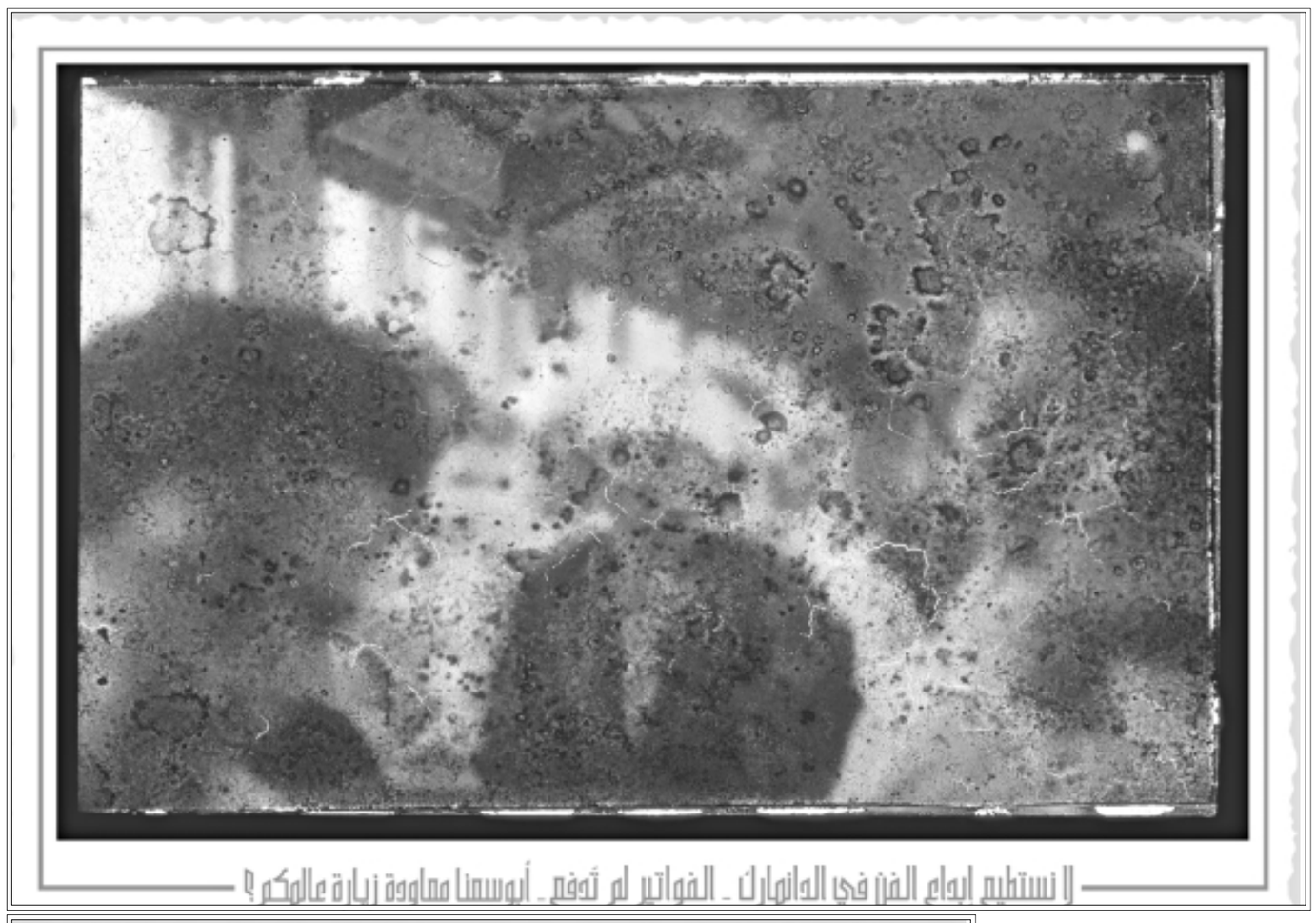

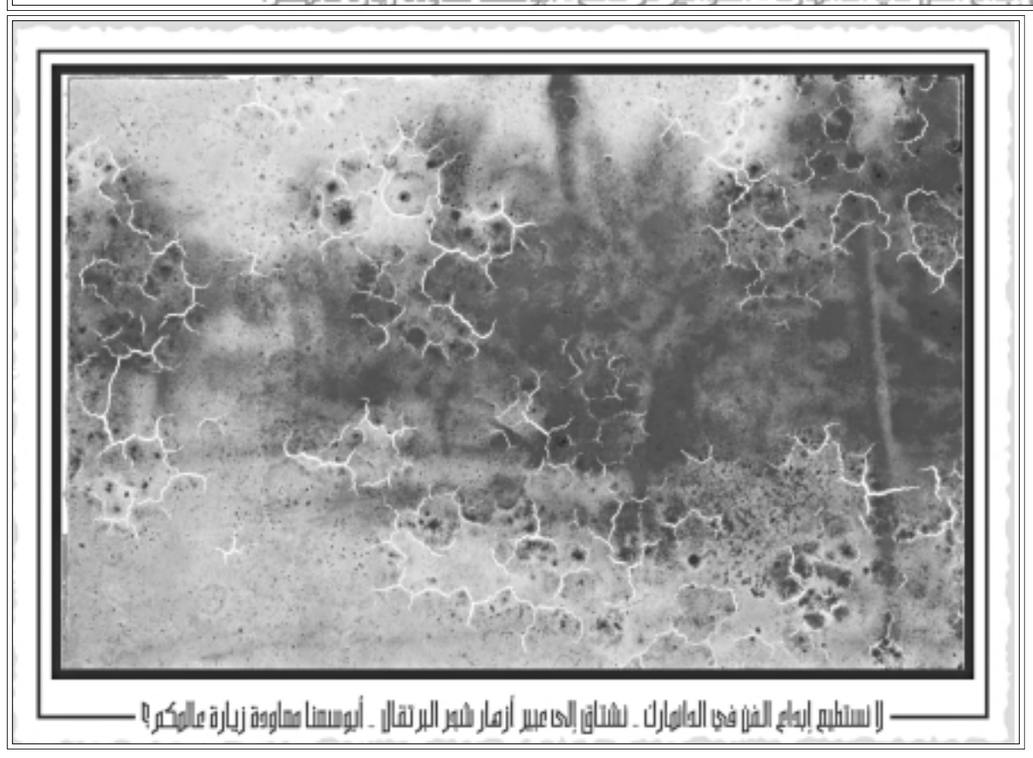

من معرض «ماذا جرى للبلبل» (القدس العربي)

يان ايسبورغ في دمشق

في هذه الأيام يهيم الفنان ايسبورغ في شوارع دمشق المدفأة جيداً بشمس الربيع، باحثاً عن صالة عرض تناسب بوستراته. وفي الوقت ذاته يتوجه متذوق الفن الدانماركي إلى صالة أسبيك لرؤية أعمال تنتقده قبل أن تلهمه، وتصدمه قبل أن تجعله يتلذذ.

قد تكون فكرة جيدة لو أتيحت له إصطحاب صديق عربي يترجم له تلك النصوص العربية.. أو ربما لا، لأن ايسبورغ ورولاند يريدان هنا، وبخبث، إثارة غضب المتفرج.

* ناقد من سورية يقيم في الدانمارك

المخرج التونسي رضا الباهي بدأ من «كان» تصوير أولى مشاهد فيلمه الجديد

كان ـ (فرنسا) ـ من هدى ابراهيم:

بدأ المخرج التونسي رضا الباهي الاثنين تصوير اولى مشاهد فيلمه الجديد من مدينة كان الفرنسية حيث تتواصل فعاليات المهرجان السينمائي الدولي التاسع والخمسين، بعد ان تعثر تصوير الفيلم خاصة بسبب موت مارلون براندو الذي كان الشريط سيتمحور حوله.

وكان رضا الباهي اعلن من مهرجان كان قبل عامين انه وقع عقدا مع الممثل الاميركي الكبير الراحل مارلون براندو للتمثيل في الفيلم، لكن موت براندو الذي كان مريضا وفي مرحلة متقدمة من العمر كاد يقضي على ولادة الفيلم قبل ان يعمد المخرج وبتشجيع من الاصدقاء على اعادة كتابة السيناريو بشكل شبه كامل.

وكان براندو العملاق في افلام من طراز «عربة اسمها اللذة» قرأ سيناريو الفيلم الاساسي وطلب من الباهي تعديله معتبرا ان الشاب التونسي بطل الفيلم لن يكون بمقدوره اقتحام هوليوود بعد الحادي عشر من سبتمبر كما اقتحمها عمر الشريف في الخمسينات.

وكان ان عدل الباهي في سيناريو فيلمه الذي يصور حلم شاب تونسي يقول له سائح اميركي انه شبيه ببراندو فيقرر الرحيل الى الولايات المتحدة والتحول الى نجم.

وقبل عامين حال رفض شركات التأمين على حياة براندو خلال مرحلة التصوير دون بدء تصوير الفيلم في موعده الاصلي واخره لثلاثة اسابيع توفي خلالها براندو. ويقول رضا الباهي لوكالة فرانس برس «في البداية اخترت انيس الرعاش من تونس لاداء دور الشاب لكن مع تاخر الفيلم ومرور الوقت تغير شكله كليا فاحترت في الامر ثم اخترت الفرنسي نيكولا غازاليه وبعد فترة من التجارب وجدت انه لا يتكلم العربية ثم رسا الخيار على الممثل المصري خالد ابو النجا». وعن سبب اختياره لهذا الممثل الشاب الذي شارك في فيلم «سهر الليالي» ولعب دور البطولة في «مواطن ومخبر وحرامي» يقول الباهي: «اخترته لانه يعطي لمحة عن براندو وهو في عنفوان شبابه».

وأشار المخرج الى ان ابو النجا سيقيم لاسابيع في تونس قبل التصوير حتى يتمكن من اتقان اللهجة التونسية. وسيصور الفيلم لمدة 4 اسابيع في تونس و 3 اسابيع في لوس انجلس «في شهر سبتمبر لان الضوء يكون اجمل» يحدد المخرج.

وتلعب هند صبري امام خالد ابو النجا دور المراة التي تعارض رحيله وهي في الفيلم ابنه خاله تعيش في القرية ولا تتحمل السياح الاميركيين وتعرف سلفا بان حلم قريبها زائف. ولا تختلف شخصية المراة في هذا الفيلم لرضا الباهي عن ادوارها السابقة فهي دائما الواعية والاقوى والاكثر حكمة وحدسا في التعاطي مع الاشياء.

واوضح رضا الباهي انه لا يسعى لاختيار نجوم «حين استخدمت المصري محمود مرسي في فيلمي «شمس الضباع» (عرض في مهرجان كان في اطار تظاهرة «خمسة عشر يوما للمخرجين» عام 1977) لم يكن نجما بعد وكذلك الحال حين عملت مع بن غازارا وجولي كريستي في فيلم «وشم على الذاكرة» فهما لم يكونا في حينه نجوم شباك».

ويعتبر الجزء الاول من الفيلم تسجيليا حيث يسجل المخرج اعلانه عن اطلاق الفيلم في كان عام 2004 وسيتم تصوير بعض المشاهد الاستعادية التسجيلية في لندن حيث من المفترض ان تلعب المنتجة نورما هايمن دورها في الحياة في الفيلم وقد وافقت على ذلك.

وبموت براندو فان انتاج الفيلم بات تونسيا ـ فرنسيا ـ هولنديا اما المشهد الاول من الفيلم فسيكون لطائرة متوجهة الى لوس انجلس وعلى متنها رضا الباهي الذاهب للالتقاء ببراندو.

ولا يحكي الفيلم فقط عن العلاقة بين الشاب التونسي الحالم وبين مارلون براندو وانما هو يتعرض للعلاقة مع الآخر «والاختلاف في الرؤى والاحلام ما بين الشمال والجنوب» كما يوضح المخرج.

وردا على سؤال هل ان السينما قادرة على فعل شيء للاسهام في تغيير العلاقة او تصحيحها ما بين العرب والولايات المتحدة يقول رضا الباهي: « لو كانت السينما قادرة على فعل شيء لفعلت في السبعينات والثمانينات حين تكلمنا مع برهان علوية وعمر اميرالاي عن السينما البديلة وكل طروحات السينما المصرية في فترة ما بعد الهزيمة».

وحتى لا يكون المخرج متشائما بالكامل يشير الى ان السينما تبقى: «اثبات وجود وفعل مقاومة وفضاء للحياة والحلم مفتوح على الامل».

وبعد انطلاق تصوير الفيلم اثر سلسلة الموانع التي واجهها قال رضا الباهي بالتونسية «ما نصدق الا ما نعنق» والترجمة انه لن يقول ان كل شيء على ما يرام طالما لم يصبح الشريط في العلب.(اف ب)

علي جعفر العلاق في «سيد الوحشتين»: احزان تحمل بلدا حتى في الخاص منها

بيروت ـ من جورج جحا:

المجموعة الشعرية التي اصدرها الشاعر العراقي علي جعفر العلاق اخيرا تحت عنوان «سيد الوحشتين» تطالعنا من عنوانها بوجه من الكآبة وتحمل الى الذاكرة «رهين المحبسين» ابا العلاء المعري احد كبار امراء الحزن النبيل ذي الابعاد الفلسفية العميقة. الا ان احزان المجموعة ليست دائما من النوع الباكي على الانسان والوجود اطلاقا لكنها بكاء عليهما من خلال بكاء على الوطن والارض والجماعة. ويجد القاريء هذا معلنا او كامنا حتى عندما يتناول الشاعر موضوعا على قدر كبير من الخصوصية. انها احزان جماعية في مرحلة مصيرية رهيبة لا يمكن الحالات الفردية ان تخفيها. اسلوب كتابة العلاق على تنوعه و«حداثة» بعض سماته يحمل خصائص كلاسيكية وغنائية ونبرة خطابية في غالبه حتى اننا وسط بعض ما يبدو لنا تعدد اوزان وقواف نستطيع القيام باعادة «صف» لتظهر سطوره المقسمة ابياتا كلاسيكة من حيث العروض. الا ان هذا الشعر مع جولاته في عالم التاريخ والاسطورة يبقى حافلا بالحاضر وماسيه التي تنزل في وطن الشاعر واهله. اشتملت المجموعة على 27 قصيدة توزعت على 94 صفحة متوسطة القطع وصدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر. القصيدة الاولى عنوانها «المجنون» وهو هنا مجنون بني عامر وليلاه. يسأل الشاعر قائلا «من ترى/ اوصلك اليوم الى هذا المتاه/ لا خفاف الابل الحمقاء قادتك الى ليلى/ ولا هبت على معولك النائح/ اقمار المياه.../ كيف اوغلت.. حفرت البئر حتى/ بكت الابرة واشتد عليك الليل/ حتى اختلط الحابل بالنابل والموحش/ بالاهل/ حتى بلغت حيرتك الكبرى/ مداها فلماذا/ يأسك الوارف لم يبلغ مداه.».

قصيدة «اوهام» قصيرة معبرة تنتهي في قسمها الاخير ببلاغة هي بلاغة الفاجعة. يقول «لك ان تتوهم../ ان السراب نبيذ/ وان التماعاته مسكرة/ لك ان تتوهم.../ لكن../ اهذا الذي انت فيه/ خراب وتيه../ ام هو الوهم يا سيدي..».

في قصيدة «سيد الوحشتين «التي حملت المجموعة اسمها يقول «لمصباحي المكفهر/ الصغير/ وحشة ولهذي القصيدة/ هذي الشوارع/ هذا الفراش الوثير/ وحشة/ فانا الان/ يا صاحبي/ سيد الوحشتين/ اتدفأ بالحلم حينا/ وبالوهم حينا/ وارجع../ شيخ من البرد/ بين عظامي وشيخ/ من الوهم ملء اليدين».

في «نهار من دم الغزلان» عودة الى موضوع اثير لدى شعراء النكبات الوطنية من فلسطين الى العراق وهو قصة يوسف الذي تخلى عنه اخوته والقوا به في بئر واتهموا الذئب بافتراسه.

نقرأ ذلك فنرى ان الشاعر يحلّ بلدا مكان يوسف هو بلده المعذب وان الماساة تبدو اشبه بشراكة بين اخوته والذئب وان الدم تحول الى ماء. وتتحول الطائرات الحربية عند الشاعر الى غربان تمزق يوسف. يقول «عمقوا البئر/ ونادوا الذئب/ من اقصى النوايا المظلمة/ حاصروا كل دروب الريح/ لا يدخل/ الى مكمنه المائي نجم/ او الى عزلته المزدحمة/ حجر الضوء../ تعبنا/ لتكن اخر بئر هذه البئر.../ ليل البئر غربان من الفولاذ تنقضّ على يوسف.. هل يوسف/ طفل البئر ام حيرتنا الكبرى/ تعبنا من جمال شرس فيه/ تعبنا من اغانيه/ المدماة ومن ايامه المحتدمة .../ «توجوا اشجاره بالرعب والحمى/ وغنوا.. دمنا ماء/ وغنوا.. بابل تغتصب الان/ غنوا.. اينا يفتك بالاخر../ ضوء يغتلي في البئر رشوّا/ مطر اليتم على اطفاله الغافين نادوا/ وحشة الليل وغربان النهايات/ ونادوا/ ذئبنا الهائج في ارواحنا المضطرمة.../ ساطع يوسف/ كفاه من نهار من دم الغزلان.. يعلو/ ... وهم الغافون في الظلمة/ لا حلم سوى ان يعلفوا/ بالتمر والحناء خيل/ الغزو/ ماذا تحمل الريح الى بابل.. / غربان تغني/ جثث تهذي/ وخيل مظلمة».

في «طيور المنافي» تطل بلاد الرافدين الحزينة ببلاغة لكن دون افصاح. يقول «اهدئي/ كالحصى يا طيور/ المنافي/ لوّحي لبلاد الاسى بالدموع/ لنهرين من صبوات/ وجوع».

في «حبر الوحشة» كلاسيكية جذابة وان تنكرت ابياتها في اسطر مقطعة.

يقول «كنا مضيئين/ بل كنا نفيض اسى/ وغبطة وتغني حولنا الريح/ نعاسنا ممطر عشبا/ ويقظتنا غمامتان/ وايدينا المصابيح..».

في قصيدة «لي بلاد احبها وهي تنأى» يقول واصفا بلاده التي يحبها رغم غوصها في الدم «حجبتها الحروب/ ادنو/ فتمضي مثلما الغيم/ كم غسلت حصاها بالشذا/ والدموع/ كم تركتني لذئاب التاريخ/ تفتض/ روحي/ قسوة كم احبها/ وجمال يتحدى الخراب/ ..../ تمضي/ لتأتي/ ليس الا الذئاب تسطع/ في الليل.. دماء/ على الحصى/ وغناء على النعوش/ بلاد/ تنتمي للظلام/ ام تتعالى/ صوب شمس الهلاك/ شيئا فشيئا../ لي بلاد احبها وهي تنأى.../ بابل انت/ ما لنا عنك منأى».

في قصيدة «مالك بن الريب» انطلاق واضح من الماضي الى الحاضر. يقول «ايها الرمح الذي/ يعول مثل الذئب لم يبق نديم/ غير هذا الموت/ بين الرمل والذكرى../ دماء الخيل/ قدامي واشلاء/ المغنين ورائي».

في قصيدة «طائر يقبل من مذبحة» يقول العلاق «نهار مهشم/ اي شمس ذبلت/ في الحقول اي غروب/ صنعته الغربان/ والغرب/ مرت طائرات التتار/ مر رعاة/ همجيون اي دليل قديم/ لف اوروك../ لا المعابد سكرى/ لا ملوك/ ولا متاحف/ غاصت في المياه/ ماذن هل توارت/ شمس اوروك..». (رويترز)

تداعيات

وجعٌ مَبْنِيٌّ للمجهولِ

لينا أبو بكر*

عزيزي بودلير:
صار بإمكانك منذ الآن أن تمارس الحبَّ وحدك!

رأيتكَ وكنتَ كتفاحة آثمة، راودتني عن وحدتي، ومثل أصيلٍ مخمور تداعتْ شفتايَ في كأسك الماكر، ثمّ وَشَيْتَ بي فكان قميصك شاهدَ زُور!!
وبعد هذا، هل يكون الحب فعل مشاركة؟!
أيمكن أن تقيم المرايا علاقات مشبوهة مع المتمارين بها؟ أم أنها انفصامات نفسية لا تتوحد إلا على سطوح هشة من زجاج؟!
سرعان ما يتهشمُ الصدى، وحينها يصعب تجميع الشذرات دون التغاضي عن رتوش الانشطارات.... إذن أنت وحدك يا عزيزي أنت وحدك!
ولكن أن تكون وحدك صدقني لا يَهُمّ!
أن تُواعدَ الله فجْراً على ضفة التايمز، وحدك لا يهم!
أن تسترق السمع إلى لثغة شعر تحبو بين الأنامل، وتسفرَ عن صوتك، لا يهم!
أن تمشي وتمشي.... وتمشي على أوجاعك الطرية دون قدمين، كي لا تحصي الكدمات الناتئة، أو تطحن المسافة، لا يهم!
أن تَضيعَ شفتاك على عنق امرأة عطشى، وتستكينَ بها، كجرحِ خنجرٍ قديم، لا يهم!
حزنا ما، لما يغدو الحزن إنسانا رحيما وعظيما، لما منه تنبع قوّتك، وبه تستعيض عن الحياة، تأكدْ حينها أننا معا، تَموتني، وأمُوتكَ.....
نهوي في شراك التراب، ونتمرّغ بالعتم كوحشين يلتهمان بعضهما من خوف ونهم، أوهبك جسدا لا يتعرّى إلا لمّا يتدثر بالرمل، نخترق الأجداث كمجذافين يبحران بزورق الآلهة إلى الآفاق البعيدة..
أن تقرّرَ الموتَ لي أنا وحدي.. فلا بدّ أنكَ وحدك، لأن الحبَّ كالموت ليس من أفعال المشاركة!
عزيزي وبودليري الصغير..... وداعا! لمْ أحبكَ يوما، لأني ميتة!
ولكن!..... أن تحبَّ أمكَ وحدك، قد يهم!
للقبور شهية دؤوبة لا تكلّ من معول الحفر، وكمْ يصعب ألا تشكل فيها الأصفار أرقاما كما لو أنها نساء
محرمات..... للقبور ذاكرة شبقية يستنفرها حفيف عبرات مرعوبة من الأسرة البيضاء، وطقوس الزفاف الأخير.....
للقبور عَضَّةٌ متورِّمَةٌ في وردة الروح، كأنها وشمٌ ميدوزيٌّ على صليب شابٍّ فاتن تؤرّقهُ بكورته!
آه ما أَجبنَ الرصاص... وما أخطر الدخان!
قلْ لمنْ غمَّدتهم الطلقات الأولى: «طوبى »!
قل لمن تجشموا عناء الدويّ: ليحالفكم الموت في نوبة حظ لا تخطئ التصويب إلى أبد الرقاد!
قل لذاك الجميل ببدلته الحربية: كيف هو السبات؟ أدلُّكَ يا حبيبي ما الأرق؟
عزيزي فلاديمير: انتظرتك أمس ولم تأت، قطفت لك الورد الأسود من حنجرة السلاح المنكس وهيأت الفراغ، غمرته بالشموع المطفأة، والرماد البارد، وخرق المعاطف العسكرية بعد عودتها من هزيمة عاطفية.. فرشت لك البحر بعويل الخريف لما يتثاءب من صحو الريح، وشختُ باكرا كي يتحشرج قلبي جيدا في بحّةِ القبلات العذرية.. لم لا تأتي إذن ماياكوفسكي؟
اللعنةُ عليك أيها الحبُّ، أيها العذاب أيها السراب، أيها اللقيط الفاجر، أخبرني من أبوك وأمك؟
أهديكَ يُتمي شهادةَ ميلاد وهويّة.....
يا أيها الشرّ الكامنُ فيَّ بعِّد، تفجرْ ماشئتَ فلن أرتويَ منك أبدا!
سأهرب إلى غرفتكَ السعيدة بكل هذا الحزن، وهناك أتعاطى الجرعة الفاتكة: خمرا وحشيشا وقمراً.. ثم نلتقي في باريس ربما، حيث العاهرات الأنيقات بلمساتهن الموقدة وشفاههن المُستَعرة كبلادكَ الحمراء، هناك أقلكَ على أرجوحة الحدقات الساهدة، كأنني برق داكن ينذر برعد مأساوي من جنة سوداء، سأدعوك لي، أنت وباريس معا، فاحزن من أجلي كثيرا كي أموتك بوفاء!
أيُّ جناية تلك التي يرتكبها الواقع، لما تستبدّ بنا المخيلة؟
أيُّ جُرم هذا المُعْفى عنه مسبقا، ذاك الذي تسيل له الروح على حد الخناجر، كلما تغلغل في الخلايا كأنه الخيانة؟

يا الله... ما ألذّ الخطيئة!

ولكن أي خطيئة تلك التي تغفرها السماء، فلا تثيب إلا من يزاولها كأنها التوبة؟
عمران ونيف، تقف بهما دمعة حقد خلف الباب، تلجُ القلب كجذوة حميمة، تشعل في أركان النفس شقائق البكاء البرعميّ، وتقذف الحياة إلى الشهقة القصوى، كأنها ارتجافة التكوين!
عمران ونيف، يتصعلك بهما الحنين على أرصفة الضباب، مضطربا كأنه طفل فقير، يختلسُ الجوع برائحة الخبز، ممتعضا من إيمان مكبوت: «أكفر بك أيتها الحياة، فألف سحقا»!
إدغار، إن كنتَ تسمعني: عمتَ موتا أيها الكئيب كما أحبُّ وأشتهي...
وسواء متَّ بعضة كلب مسعور، أو بطعنة كحول خفية، أو قيدَ السبب لمجهول هو أنتَ، وسواءٌ عليك اختفت وثائق موتك أو وجودك، ما همَّ ذاك، فلقد متَّ يا عزيزي وانتهينا....
ديسمبر مذاق ملتاع لزائر منتصف الليل، يعيد على إيقاع ملائكي رقصة عزلاء مع أشباح لينور العذراء..... هي الفصول يا إدغار حقا؟ هي الحكاية أم هو الراوي؟
لستَ تدري من أيّ حزنٍ أتيْتَ، ولكنك على يقينٍ تام أنكَ حزينٌ، وهذا يكفي..
لم يكن الهواء ولا الرياح تلك التي جمعتك بطائر قادم من جحيم قديس، هو ظل لأصدقاء غادروا أو حبيبة مفقودة، ديسمبر ليلة ترتعد لها الحواس، ويصحو بها الميتون، ويؤوب بها الراحلون على هيئة غراب مشؤوم..... فهل الغربان لغة مُثلى لأحزان الشعراء؟!
كيف يشدكَ الحبُّ إلى الموت؟ كأنه غوايته، أو كأنه تغرير بالحياة؟
أجب إن كنتَ تجرؤ على الوضوح في طقسي المعتم، أو كنْ غامضا كي نتفاهم بحرية تحت الشمس وفي العراء!
أنا وأنت يا عزيزي خلْقنا منْ شعر، ولنا كلما أضْنتنا اللغة معجزة سليمان، فلا تقصص أحزانك على أحد سوى الطير والأعشاش المهجورة.....
أموتكم أنا، وتموتون...
تموتون؟
إذن هي شجاعة مضاعفة، جسارة لا مثيل لها إلا مقاومتها، وتلك لا يقوى عليها أمثالكم من الشعراء، إنها ضعف مناعة إيجابي أمام الردى لما بها من بأس شديد، فمرحى لكم بأسكم ذاك..
تموتون؟
إذن نحن صحبة يأس، وهذي تدوم فلا تفنى، لأن اليأس عدوى إن تفشتْ استشرتْ، وإن حضرت طغتْ كالسواد فلا يطمسه غيره، إذن هو هو لا غير..
تموتون؟
نتحاب نحن إذن، لأننا فرق عزف منفرد، نتشارك بالوحدة، ونتحد بالعزلة، فنحن بالمحصلة لسنا شركاء إلا بالفراغ، وحيدون وضائعون وحاقدون فرادى فرادى... وميتون من الموت..
لأن الحب ليس من أفعال المشاركة!
أيها العالم الشائك كقنفذ رعديد، ضقت بك ذرعا، فاذهب إلى الجحيم تجدني هناك بانتظار!
أيها العالم الأحمق، لك نعيمك الغبي ولي جهنمي الورعة، فلا تأبهْ بأصول الضيافة، واقتحم عليَّ حرماتي «الحب والموت»، علكَ تخرُّ لي ساخطا، فأحترم غباءَكَ الحكيم!
أيها العالم المخبول: اذهبْ إلى الجحيم!

* شاعرة من فلسطين